الصينيون

-٢-

للاستاذ السيد أحمد البدوي
مترجمة عن المجلة الجغرافية

حول العالم

ما هو مركز المرأة في المجتمع الصيني وكيف يمكن للشخص الأجنبي أن يصل الى حقيقتها ؟

المرأة عندهم لا قيمة لها الا انها عبارة عن واسطة لانتاج النسل الذي يعبد ارواح اجداده وآبائه وهي لا تخرج عن كونها خادمة تعمل في المنزل ، ويمكن للفتاة في العائلات الفقيرة ان تعيش اذا لم تقتل بعد ولادتها بساعتين او ثلاث . ومن بدء ولادتها حتى تصبح امرأة تعيش لتحيا دون ان تتغير حياتها ابداً ، اما اذا ما انتقلت الى منزل الزوجية فانها تزداد سوءاً لانها ستقع تحت طائل أب الزوج وامه واملها الوحيد حينذاك ينحصر في انجابها ولدا .

وهم يعملون على فصل الجنسين وهذا ظاهر بوضوح جداً في (كتاب الحقوق) وهو من كتب الآداب الصينية القديمة نجد ان التعاليم تنص على ان الولد لا يجلس مع اخته على نفس المنضدة اذا ما تجاوزت سن السابعة ، وان ملابس الذكر لا توضع مع ملابس الانثى على مشجب واحد . وبوجه عام لا يمكن ان نقول ان الزوجه او الفتاة كائن انساني عائش في الحياة . وهم لا يعلمون البنت ـ اذا ما استثنينا ماتقوم به بعض البعثات التبشيرية ـ وذلك لان أبا الفتاة يقول : اذا كان الزوج او اهله يريدون ان تكون الفتاة متعلمة فعليهم هم ان يعلموها . واهم شيء عند الأب هو التخلص من ابنته بالزواج باسرع ما يمكن واذا كانت العائلة فقيرة جداً فيبيعها ولكن في المدن الكبيرة مثل « شنغهاي » نجد ان المرأة الصينية هناك تقوم بكثير من النشاط الاجتماعي يشابه الذي تقوم به اختها الغربية . والفتاة الصينية لا تعرف معنى الحب وليس لها رأي في اختيار زوجها ولا تعاشره قبل الزواج وتختار الزوجة لزوجها في سن مبكرة جداً واذا ما اختير زوج المستقبل فالفتاة في هذه الحالة تنتمي الى اسرة زوجها وتصبح فردا من عائلته . واذا ما خطبت توضع في مكان لا يراها فيه احد فاذا تمكن احد — من سوء حظ الفتاة — ان يراها فكلا عائلتي العروسين تكونان تحت تأثير عين حاسدة . وفي حفلة العرس يهنيء الناس اهل العروسين فأهل الذكر لأنهم تمكنوا من الحصول على فرد جديد يعمل على مساعدة من في المنزل وامرأة جديدة تنجب لهم الاولاد الذين سيقومون بعبادة ارواح آبائهم واجدادهم بعد ذلك ، اما اهل المرأة فلأنهم نجحوا في التخلص من الفتاة ، ولابد للفتاة من ان تحب زوجها وقتل الفتاة منتشر جدا هناك وكذلك بيعها وذلك ناتج من تكاثف السكان الشديد في المناطق المختلفة ومنع القانون ذلك ولكن مهما كانت صرامة القانون فليس له مفعول او تأثير ..

والخلوة او العزلة في المنزل غير معروفة هناك فنجد ابواب المنازل والحجرات مفتوحة دائما والصيني يقوم بأداء اعماله المنزلية ويستطيع أي شخص من الخارج ان يرى مايحدث بالداخل ، واذا ما قامت مشاجرة عائلية وعلا الصياح فان جميع الجيران والمارة لهم الحق في دخول المنزل لمعرفة اسباب الخصام وحسمه ، ولا يوجد عندهم مايسمى بالسر فلا سر بين الرجل وزوجته او بين افراد العائلة جميعاً وهم لا يستعملون الوسائد ولكنهم يستعيضون عنها بوضع قطعة من الخشب او الحجارة تحت رؤوسهم ، والملابس الصينية عندهم لم تصنع لراحة انسان صيفا او شتاء ، اما الملابس الاوروبية فهي مضحكة لهم جدا وهم لا يلبسون الملابس الصوفية ، اما القطنية فهي لباسهم الوحيد ..

ومن عادة الاوروبي ان يخرج ومعه كلبه للنزهة اما في الصين فالشخص يخرج ومعه طفله المدلل ليشم الهواء العليل

من المناظر المألوفة في الصين ان نجد رجلا سواء كان شابا او شيخا واقفا نصف ساعة او يزيد امام منزله او في وسط القرية حاملا قفصا صغيرا به طائر. اما السلام عندهم فهو ان يضع يديه في كلتا يدي صاحبه، واذا سألت الصيني عن عدد اولاده يخبرك عن عدد اولاده الذكور فقط ويتجاهل وجود بنات عنده واذا كان مرتديا قبعة فانه يحتفظ بها على رأسه عند دخوله منزل احد اصدقائه، وعادة نجد ان الجزء الخلفي من منزل الصيني اجمل بكثير من واجهته، والبوصلة العادية تشير عادة الى الشمال اما البوصلة عندهم فتشير الى الجنوب والكاتب الصيني يبدأ كتابته من اسفل وتقرأ الكتابة من اليمين الى اليسار والملاحظات تكتب في اعلا الصفحة.

ويدرس الطفل الصيني الآن ما كان يدرس منذ آلاف السنين لأن كل قديم عندهم حسن جداً اذ لولا حسنة لما استمر هذه الفترة الطويلة. ولكن الآن يوجد بعض التغيير في بعض المناطق وقد ظهرت خطوة عظيمة سنة ١٩١٨ م اذ ظهرت حروف هجائية مكونة من ٣٩ حرفا

والخرافات والاعتقاد في الخير والشر كل ذلك منتشر جدا فنجد ان المفكرات ملأى بالنصائح المختلفة فمثلا تجد مكتوبا ان هذا اليوم سعيد للزواج او للقيام بالسفرات . . الخ ولذلك يرتفع سعر وسائل المواصلات كالعربات في ذلك اليوم وهم لا يعتقدون في الطب الحديث والاطباء بل يراجعون عند مرضهم الدجالين . وقد حدث مرة ان عظم سمك قد وقف في حنجرة احدهم اثناء الأكل فهرع الاقارب والاهل والاصدقاء والجيران لرؤية هذا المنظر ثم بدأت تمتد بعض الاصابع القذرة تختفي في داخل فمه لاستخراج العظم المنشود ولكنهم جميعا لم يتمكنوا من الوصول اليه فنودي الطبيب وحين جاء الطبيب وضع نظارتيه على انفه ثم سأل عن الحادث فصاح الجميع في صوت واحد (عظم سمك) فأجاب الطبيب بانه ما دامت المسألة خاصة بالسمك فلابد من استعمال الطرق الخاصة بصيد السمك ولكن بعد التفكير وجدوا ان الشبكة كبيرة جدا فاحضروا بدلا منها طائرا يسمى (غراب البحر) فجاءوا بهذا الطائر الكبير ثم ربط المريض الى كرسي وشد وثاقه جيدا ووضع الطائر على ظهره ومنقاره موجه الى فم المريض فبدأ الصراع بين المريض والطبيب والطائر وبدأ صراخ الاهل والأقارب والاصدقاء كل هذه الاشياء من اهم العوامل التي تساعد على استخراج العظم واخيرا دفع العظم الى داخل جوف المريض وخرج الطبيب من المنزل وهو فخور بنجاحه في معالجة المريض ويعتبر كل شخص في الصين نفسه طبيباً فان لم يكن محترفا للطب يكون هاويا لهذه الحرفة وفي امكانه ان يصف الدواء لأي مريض كان

وتكاثف السكان الشديد وعاداتهم وتأخرهم وقذارتهم كل هذا دعا الى انتشار الطاعون والدسنتاريا والسل وامراض اخرى كثيرة بين الناس ولقد تغلغلت في الصين الآن بعض بعثات الطب والصليب الأحمر مما أدى الى تحسن ضئيل في صحتهم .

واعظم هدية يمكن ان يقدمها الابن لابيه اذا ما تقدمت به الاسن وقارب الوفاة هي الكفن وتختلف الجنازة حسب منزلة الميت فاذا كان للميت منزلة اجتماعية كبيرة فيؤتى له برجال الدين ويقدم اكل بكميات كثيرة للمشيعين ويظهر الحزن بوضوح على اقارب الميت وتصدح الموسيقى في الليل والنهار بانغام حزينة وتسير عربات محملة بالاخشاب التي تحترق لطرد الارواح الشريرة ويعملون نماذج من الورق لجميع الاشياء التي يملكها المتوفى ثم تحرق في الحفل لانه ربما يحتاج لها في العالم الآخر فيجدها تحت يده ويأتون باوراق من النقود تحرق وتبعثر خلف النعش وهو سائر في الطريق حتى تنهمك العفاريت والارواح الشريرة في جمع هذه الاوراق فتتأخر عن النعش الذي يصل الى المدفن قبل ان تصل تلك الارواح اليه ويسير كثير من الناس حاملين اعلاما وينشدون بعض الاناشيد الدينية وعند اقامة هذه الحفلات لابد ان تقدم مساعدات مالية لاهل المتوفى فيقدم كل مدعو بعض المال كمساعدة لهم وكلما كثر عدد المدعوين زاد ايراد الحفلة

وباللغة الصينية عدد كثير من اللهجات فاللهجة في « شنغهاي » تختلف كثيرا عن لهجة « كانتون » واذا ما اراد شخص اجنبي ان يتعلم اللهجة الصينية فعليه ان يتعلم لهجة « مندارين » لان هذه اللهجة معروفة لدى ثلثي الصينيين وهي

صعبة التعلم فيقضي الاجنبي كل حياته في الصين بدون ان يتعلم شيئا يذكر وطريقة لفظ الكلمة نفسها صعبة جداً لأن الكلمة الواحدة لها عدة معاني ، ويمكن التفريق بين معانيها المختلفة من طريقة لفظها فكلمة (تش) مثلاً لها ١٣٥ معنى ممكن ان يكون معناها كتكوت او يدفع او يتذكر الخ ولتعرف المعنى المقصود لابد ان تتلفظ الكلمة بطريقة خاصة

ويعرف الصيني الشيء القليل عن الضرائب والمكوس والثروة الشخصية اذا ما استثنينا الموظفين والتجار معدومة عندهم فكل شخص يقترض من صديقه ويقرض غيره . واذا ما تبقى عند الشخص دينار فيكون مسرورا جدا ثم يبدأ يبحث عن شخص يقرضه له بفائدة مرتفعة. ولا يوجد لديهم بنوك ليضع الانسان فيها النقود المتوفرة لديه لان الجيران يمكنهم ان يطالبوا على ما يملكه الشخص في مثل تلك المؤسسات لذلك نجدهم يحفرون الارض في الحقل ويضعون فيها النقود

ولا توجد لديهم حكومة بالمعنى المعروف بل هناك اشباه حكومات واحدة في الشمال في بكين والاخرى في كنتون في الجنوب . والذي يحكم وله السيطرة الكبيرة هم حكام المقاطعات وكل حاكم له قوانينه الخاصة التي يطبقها على سكان مقاطعته والحرب الاهلية بين حكومة الشمال وحكومة الجنوب مسألة عاديه جداً وهي تعد عندهم كنوع من الالعاب الرياضية التي يجب ان يمارسها الناس باستمرار .

ومن الاسباب التي دعت لتأخر الصين قلة مواصلاتها الداخلية فالسكك الحديدية لا زال في دور الولادة ففي هذه الارض الواسعة لا يوجد الا سبعة آلاف ميل من السكك الحديدية فقط واذا ما قارناها ببريطانيا نجد ان الجزء الغربي منها بقدر ٦٧٠٠ ميل وهم يستعملون ايضا المجاري المائية فعندهم نهر (يانج تس كيانج) ونهر هو انجهو (والجراند قنال) ومجاري اخرى صغيرة ولم يظهر نظام البريد في الصين الا سنة ١٨٩٦ م وحينذاك بدأت هذه الدائرة تتقدم بخطى سريعة واسعة . اما الزراعة فمنتشرة هناك فقل ان تجد جزءا من الارض غير مزروع وفي وقت الزراعة تجد العمل في الحقول على قدم وساق وهم يستعملون في زراعتهم الطرق القديمة التي تعلمها الفلاح من اجداده . والفلاح الصيني قنوع ويعمل بجد ولا يتذمر من عمله ابداً والمرأة لها نصيبها من العمل في الحقول كجمع محصول الارز . وهم يقومون بزراعة التوت الذي يربى عليه دود القز وصناعة الحرير من دوده القز ترجع الى اربعة آلاف سنة مضت والى منتصف القرن التاسع عشر كانت الصين تصدر نصف الحرير الذي يحتاجه العالم وثروتها الزراعية . الارز والشاي والقطن والفول .. الخ لانهاية لها ويجب ان تظهر في الصين ثروة صناعية حتى يستفيد اهلها من هذه الثروات العظيمة المطمورة تحت سطح الارض والمواد المخدرة وخاصة الافيون منتشرة في الصين ويعد الافيون من احسن المواد للطب وفي نفس الوقت يعد سماً يؤثر في الناحية النفسية والجسدية للانسان .

وقد ظهرت الطباعة في اول الامر على كتل من الخشب وذلك في سنة ٢٠٠ ق . م ثم اخترعت بعد ٨٠٠ سنة من التأريخ السابق الطباعة المتحركة ولكنها كانت على نطاق ضيق ولم ينتشر هذا النوع الاخير الا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر وقد عرفت البوصلة المغناطيسية في الصين سنة ١٠٠٠ ق . م وقد استخدم البارود عندهم قبل ميلاد المسيح

ولكن ، وقف انتاج الصين العلمي ولم يتقدم وذلك ناتج من المبدأ الذي يعتنقونه ، بان الشيء النافع الجيد في سنة ١٠٠ ق . م يكون احسن وانفع مما يأتي بعد الفي سنة .

والفن الهندسي هناك على وتيرة واحدة سواء كان خاصاً بالمباني والمعابد اولاى شيء آخر والمنازل الصينية لا يزيد ارتفاعها عن طابق واحد الا نادراً والنقوش التي يعملها البناءون تزداد وتقل تبعا للمركز الاجتماعي لصاحب المنزل .

ويوجد بالصين احدى عجائب الدنيا وهي « سور الصين » العظيم الذي اذا ما رأيت جزءاً منه الفيت نفسك في ذهول . وان لم يكن في الصين اي شيء يراه الزائر الاجنبي فان رؤيته لهذا السور كافيه للاعجاب به فقد بدئ في بنائه سنة ٢٢٠ بعد الميلاد ويبدأ هذا السور من البحر الشرقي عند « شان كايكان » ممتداً على طول الحدود الشمالية الامبراطورية الصينية القديمة وطوله حوالي ١٤٠٠ ميل مبني من حجارة عظيمة وهو ذو سمك كبير جداً . ويقال ان ثلث سكان الصين القادرين على العمل قد اشتركوا في اقامة هذا السور .

وتعد الموسيقى من اجمل الفنون التي لدى الصينيين وهم مغرمون بها جدا . وتصدح الموسيقى في اعياد الميلاد و لزواج والمآتم ، وجميع الموسيقيين محترفون لهذه الصناعة ومن النادر ان نرى موسيقياً هاوياً ، وتلعب الموسيقى دوراً هاماً جدا في المسرح الصيني ومن النغمة التي تصدر من الموسيقى يمكن للممثل ان يعرف مايجب عليه عمله و (الدراما) هي من احب التمثيليات عندهم وهم يأخذون هذه التمثيليات من حوادث الصين التأريخية .

وتلبس المرأة الصينية التي تنتمي الى الطبقة العليا (بنطلوناً) يشبه تماما (بنطلون) الرجال وسترة مقفلة من اسفل الى اعلى ذات ياقة مرتفعة وحذاء مدبب الطرف . وفي سن الثامنة يلبسون الفتاة بعض الاحذية من الحديد التي توقف نمو قدمها فتكبر الفتاة وتظل قدمها صامرة صغيرة فيكون من الصعب على هذه القدم الصغيرة ان تحمل جسم الفتاة الكامل النمو .

لاعتقادهم بان القدم الصغيرة علامة من علامات الجمال . ولكن تأثرت بعض المناطق في الصين بالعادات الاوربية فاعطت الحرية للفتاة لتلبس بعض الملابس الاوربية ولقدمها أن تنمو نموها الطبيعي وكثير من النساء في الصين يخرجن اعين اولادهن من اماكنها كي يحصلوا على معاشهم كشحاذين فاقدي البصر والابن من اهم الشخصيات في المنزل وتكون الأم بمثابة خادمة له اما الفتاة فانها تقابل عند ولادتها بكل أسف وحزن ويطلق بعض الآباء اسماء فتيات على ابنائهم خوفاً عليهم من الارواح الشريرة .

ولعبة « الدومينو » منتشرة جدا في الصين وخاصة بين النساء وهي تلعب بعدة طرق مختلفة وهن يلعبنها في اى وقت من الاوقات سواء بالنهار او الليل ليسلين انفسهن .

وتهتم المرأة الصينية بشعرها وتعمل على تصفيفه باشكال مختلفة وتتركه ليطول كثيراً وان لم يكن كذلك فتحشوه بكمية من الصوف حتى يظهر انه طويل وغزير .

وكل من يزور الصين فان الاشياء الجميلة التي يشاهدها ترسخ في رأسه اكثر من غيرها .

السيد احمد البدوي

المدرس المنتدب في متوسطة النجف

أدب التاريخ

للشاعر المؤرخ الشيخ علي البازي

— ٨ —

وقلت مؤرخا وفاة الوجيه الحاج عبد الرسول شريف في النجف سنة ١٣٦٣ هجـ

آل الشريف فروعهم تنبيك عن طيب الأصول
وفقيدهم اخباره تدعو الى الذكر الجميل
الفذ غيّب ارخوه (وقد مضى عبد الرسول)

وقلت مؤرخا وفاة سيادة السيد محمد علي القزويني عضو مجلس الأعيان ببغداد سنة ١٣٥٨ هجـ ومعزيا ولده انوجيه الكبير السيد جعفر :

هذا (ابو جعفر) آثاره تنبيك عن اعماله المبهرة
للخلد لما اختاره ربه غيّب والتأريخ (بالمغفره)

وقلت مؤرخا وفاة معالي الشيخ صالح باش اعيان العباسي رئيس مجلس الاعيان ببغداد سنة ١٣٦٥ هجـ

اصبح هذا الشعب يبكي أسى فقدك مذ قوضت يا صالح
وثغره اشجاه تاريخه (وغاب من اعيانه صالح)

وقلت مؤرخا وفاة الشيخ عبد علي والد صاحب البيان في النجف وكانت وفاته في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ هجـ

قضى بذي الحج علي الذري وفاز بالعقبى ببيت علي
فتلك في الفردوس قد شيدت ارخت (دار الشيخ عبد العلي)

وقلت مؤرخا وفاة العلامة الشيخ محمد حرز الدين في النجف سنة ١٣٦٥ هجـ

رزء بكى الدين الحنيف لهوله وتعطلت احكام شرعة احمد
وملائك الرحمن حزنا ارخوا (بمدامع تنهى افتقاد محمد)

وقلت مؤرخا وفاة العلامة الشيخ عبد المهدي المظفر في البصرة سنة ١٣٦٤ هجـ

لقد نكب الاسلام اية نكبة بفقد زعيم منه عز نضيره
بيوم به « مهديه » الندب قد قضى وارخته « المهدي غيب نوره »